

انجازات ابن هشام

سبق القول أن ابن هشام استقبلته مدرستان نحويان:

إحدهما: مدرسة ابن الحاجب «٥٧٠ أو ٥٧١ - ٦٤٦ هجرية».

والأخرى: مدرسة ابن مالك «٦٠٠ - ٦٧٢ هجرية».

أما مدرسة ابن الحاجب: فكان اعتمادها على الفلسفة والمنطق، وكان عميدها من أذكى العالم، بارعاً في الأصول والعربية، وكان الأغلب عليه النحو، ولحذقه في فنه خالف النحاة في مواضع، وأورد عليهم إشكالات وإلزامات مفحمة يعسر الجواب عنها، وهو فقيه مالكي، أصولي، مقرئ بالسمع، أخذ عن الشاطبي وغيره، فهو لذلك بالبصريين أشبه، ومدرسته إلى مدرستهم أقرب، وتصانيفه متفحة.

قال ابن خلكان: «كان أحسن خلق الله ذهنًا، وجاءني مرارًا بسبب أداء شهادات، وسألته عن مواضع في العربية مشكلة فأجاب أبلغ جواب، بسكون كثير، وثبت تام»^(١).

وأما مدرسة ابن مالك: فقد كاد يكون تعويلها على مجرد الرواية، وكان عميدها إماماً في القراءات وتعليلها، وكان أمةً في الاطلاع على الحديث.

وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكان الأئمة الأعلام يتحIRON منه ويتعجبون من أين يأتي بها، وكان إليه المستهى في الإكثار من نقل غريب اللغة، والاطلاع على وحشيتها.

فإذا رجعنا لحكم أبي حيان عليه، وهو ما سبقت الإشارة إليه بأنه «كان لا يحتمل المباحثة ولا يثبت للمناقشة» ساغ لنا أن نقول إن مدرسة ابن مالك أقرب شبهاً بمدرسة الكوفيين، وكان إلى ذلك شافعي المذهب.

وقد قال عن الشيخ جمال الدين ابن الحاجب: إنه أخذ نحوه عن صاحب «المفصل» وصاحب «المفصل» نحوي صغير^(٢).

وكانت مصر في عهد المدرستين قبلة أنظار العلماء ومحط رحالهم، عاذ بها المشاركة راهبين، كما هبطها ووفد عليها المغاربة من قبل راغبين، ولكل وجهة هو موليا وجهه في النحو.

(١) بغية الرعاة ص ٣٢٣ .

(٢) بغية الرعاة ص ٢٥ .